

تاريخ الإرسال (2022-05-24)، تاريخ قبول النشر (2022-07-31)

د. أحمد علي جودة

اسم الباحث الأول:

د. محمد محمود العمرو

اسم الباحث الثاني:

جامعة العلوم الإسلامية العالمية - الأردن

اسم الجامعة والبلد:

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

Ahmad.Joudeh@wise.edu.jo

خطاب الرفض في شعر رجا سمريين

الملخص:

تدور هذه الدراسة حول ظاهرة عند شاعر من شعراء المقاومة الفلسطينية ألا وهو رجا سمريين، وهذه الظاهرة التي صبغت شعره كله في جميع المجالات هي الرفض، وجاءت حالة الرفض من رؤيته الفكرية المرتبطة بالأحداث والوقائع في عصره. ولإعادة التوازن النفسي لرفضه وجد بدائلًا وحلولًا للأوضاع غير الصحيحة، فدعا إلى الثورة والمقاومة والوحدة وطلب العلم والرجوع إلى العقيدة. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي كمنهج ملائم لوصف وتحليل شعر الشاعر الرفض. وبيّنت من خلالها أن الرفض عند سمريين ليس للتعويض أو الإحباط، وإنما دعوة للتجاوز لتحرير فلسطين من المحتل.

كلمات مفتاحية: الرفض، رجا سمريين، شعراء المقاومة الفلسطينية.

Manifestations of rejection in the poetry of Raja Somrien

Abstract:

This study revolves around the phenomenon of one of the poets of the Palestinian resistance, Raja Somrien, and this phenomenon that colored his poetry in all fields is rejection. The state of rejection came from his intellectual vision related to the events and facts of his time. In order to get back the psychological balance to his rejection, he found alternatives and solutions to the wrong conditions, so he called for revolution, resistance, unity, seeking knowledge and a return to faith.

The study followed the descriptive analytical method as an appropriate method for describing and analyzing the poetry of the rejectionist poet. Through it, it showed that Somrien's refusal is not for compensation or frustration, but rather a call for transgression to liberate Palestine from the occupier.

Keywords: Al-rejection, Raja Somrien, Palestinian resistance poets.

المقدمة:

لم تشغل الشعراء العرب قضية كما شغلتهم قضية فلسطين، وقالوا شعراً كثيراً في استنهاض الهمم للدفاع عنها وطرد المحتل منها، ورفضوا ما حلَّ بها وبشعبها من قتل وتشرد وسجن، وبعد فقدان الأمل من تحررها، تحوّل الشعراء من الغضب والتمرد إلى الرفض. وهذا الرفض يختلف عن التمرد، فعلى حين أنّ التمرد دعوة إلى المواجهة والثورة، فإنّ الرفض حالة فكرية عند الشاعر الرفض إذ يُفكّر بدائل لتحقيق التوازن وإرجاع الوطن المحتل لأهله. ولذا قام رجا سمرين في شعره الرفض بإيجاد بدائل دعا من خلالها إلى التمسك بها لتكون سلاح الأمة العربية لتحرير فلسطين وهي: الالتزام بالإسلام والوحدة العربية والثورة على الأنظمة المستبدة وطلب العلم والتمسك بالأخلاق الحميدة وصناعة الأسلحة والدعوة إلى الجهاد. وحاله في هذا حال الكثير من الشعراء الراضين الذين رفضوا الصلح مع المحتل أمثال محمود درويش ودوى طوقان وأمل دنقل وغيرهم.

أهمية الدراسة:

يُعدّ رجا سمرين من شعراء المقاومة الفلسطينية الذين نذروا حياتهم لرفض الواقع وتعريضه والدعوة إلى مقاومة الاحتلال اليهودي لفلسطين منذ احتلالها، وصوّر معاناته ومُعاناة الفلسطينيين والعرب في حياتهم، ودعا إلى الوحدة لمواجهة أعداء الأمة وتحرير فلسطين. ومع غزارة إنتاجه الشعري، لم يأخذ حقّه من الدراسات والأبحاث النقدية، مع أنّه أكاديمي وشاعر وله مؤلفات نقدية ودواوين شعرية عديدة، وأثناء بحثي عن درس شعره وأشاد به، لم أجد مَنْ فعل ذلك، لذا وإحفاً للحق كان عليّ دراسة إنتاجه الشعري وإعطائه بعض حقّه ولو بعد وفاته، والتركيز على أهم المضامين الشعرية التي ألحّ عليها في شعره ألا وهو الرفض لكل مجالات الحياة التي يرى فيها الظلم والتعسف والاستبداد.

وهناك العديد من الدراسات تطرقت لموضوع الرفض، أذكر منها:

1. الرفض في الشعر الشعبي المعاصر - لِسعيد محمد: وهي دراسة تتحدث عن تاريخ الرفض في الشعر العربي، يستعين بها الباحث بأقوال النقاد القدماء والمحدثين عن الرفض وأهم شعراء الرفض.
 2. الرفض في شعر عدنان الصائغ - يتحدث عن الرفض في الشكل والمضمون عند الشاعر.
 3. الرفض في شعر محمد بلخير - لمحمد سرير: ويتحدث عن شعره الشعبي وأسباب الرفض في شعره.
 4. تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان - فانتة محمد حسين - وتحدثت عن شعرها الرفض ودلالات الرفض.
- لكن ما يميّز هذه الدراسة أنّها الأولى لإنتاج هذا الشاعر، وأنّ الرفض عنده ظاهرة واضحة تغطي أغلب شعره، فقد رفض كل أشكال الظلم والاستبداد للدول والحكومات وحتى الحكام المستبدين وكل سلوك خاطئ للأفراد والجماعات.

وتجيب هذه الدراسة عن مجموعة من الأسئلة، وهي:

س1: هل قصد رجا سمرين استخدام الرفض في شعره؟

س2: وما الذي دفع رجا سمرين إلى استخدام الرفض كاستراتيجية نضالية في شعره؟

س3: وما الرسالة التي أراد أن يوصلها بالإلحاح بتوظيف الرفض؟

س4: ماذا أضافت السخرية في شعره للرفض؟

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على شعر رجا سميرين⁽¹⁾ الراض لكل أشكال الهيمنة والظلم والاستبداد، والتعريف على دوافع الرفض في شعره، مع نماذج على الشعر الراض وتحليلها مبينة الرفض في المضمون والشكل.

واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي كمنهج ملائم لوصف وتحليل شعر الشاعر ودوافع ودلالات الرفض في شعره.

تتكون الدراسة من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الرفض في اللغة والاصطلاح. وفي المبحث الثاني: الرفض في الشعر العربي الحديث.

وفي المبحث الثالث: وسائل التشكيل الفني لخطاب الرفض عند رجا سميرين. وأنهيت البحث بخاتمة واستنتاجات تتبعها توصيات وتليها الهوامش والمراجع.

المبحث الأول: معنى الرفض في اللغة والاصطلاح

الرفض (لغة): بالرجوع إلى معجم القاموس المحيط: فالرفض من الفعل رفض، نقول: "رفضه يرفضه ويرفضه رفضاً: تركه، ورفض الإبل: تركها تتبدد في مراعاها، كأرفضها فرفضت هي رُفُوضاً: رعت وحدها، والراعي ينظر إليها وهي إبلٌ رافضة ورفض، ويُحرَّك، وجمعه أرفض. ورفض النخل: انتشر عذقه، وسقط قيقاؤه. ورفض الوادي: اتسع.. والروافض: كل جند تركوا قائدهم والرافضة فرقة

1) رجا محمد سُميرين (1929 - 2018): هو شاعر وأستاذ جامعي أردني - فلسطيني الأصل. ولد في قرية قالونيا بالقرب من القدس نشأ فيها حتى بلغ من العمر سبعة عشر عاماً، ثم درس اللغة العربية وآدابها في جامعة الأزهر، فحصل منها على شهادة الدكتوراه 1972. تتقلد للعمل في العديد من الدول العربية، فقد عمل في التدريس في مصر والأردن، والسعودية، والجزائر، والكويت. يدعو إلى مقاومة المحتل وعدم عقد المعاهدات التي تُضفي شرعية لدولة الكيان الصهيوني. ومن الأحداث المزلزلة التي وقعت للشاعر رجا سميرين وهو استشهاد ابنه الثاني محمد على يد اليهود في عام 1982م عندما دخلوا لبنان فتعجّر غضباً وتمرداً في شعره وهب يدعو للجهاد، وعندما وقّعت اتفاقية أوسلو عام 1997م رفضها؛ لأنه لا يُعقد سلام مع من سرقوا الأوطان وقتلوا الأولاد وطردوا شعباً وشتتوه. لقد أصابه من الخذلان ما أصاب الكثير من شعراء الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو التي عقدها العرب والفلسطينيون مع الكيان الصهيوني فضيّعت أحلامه. وتوفي في 2018م. (سميرين، رجا، 2002، الأعمال الشعرية الكاملة، دار اليراع للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص 7-20)

منهم ... ورفض الناس فرُفُهم⁽¹⁾، وهذا ما نجده أيضاً في لسان العرب لابن منظور في مادة رفض⁽²⁾، فالمعنى اللغوي للرفض هو الترك.

الرفض (اصطلاحاً): ويعني "تمرد على الواقع أو صرخة غير مباشرة لتغيير واقع قد يكون سياسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو تأييد موقف بعينه" (3).

فالرفض محاولة لتغيير واقع مؤلم يعيشه الأفراد أو الجماعات ومحاولة تغييره ليصبح أكثر إشراقاً وحرية في كل مجالات الحياة. ومهما يكن فإنَّ الرفض هو: "مقاومة الإرادة لدافع معين أو رفضها التصديق بالأمر أو تأييده والانقياد له. وقول "لا" عند رفضه أدل على قوة إرادته من قول "نعم" شريطة أن يكون رفضه ناشئاً عن دوافع غريزية عمياء" (4).

المبحث الثاني: الرفض في الشعر العربي الحديث:

الرفض ملمح فكري يحمل معه معنى الغضب والتمرد من واقع مرير، يقوم الرفض فيه بمواجهته ورفضه والدعوة إلى تغييره بطرق نضالية لتحقيق هدفه، لأنَّ غريزة الإنسان تدفعه إلى الحرية وعدم وجودها يستدعي رفض الواقع لاستعادتها.

فالشاعر الذي يرفض واقعاً مريراً يستخدم رفضه لمواجهة هذا الواقع ويتصادم معه أملاً في تغييره ولا يستسلم لهذا الواقع المفروض عليه بالقوة. فمصطلح الرفض يُستعمل للدلالة على إنكار الواقع المفروض، والدعوة إلى التغيير الذي يحقق الحرية وإرجاع الحق لأهله، فالرفض ليس هروباً من الواقع، وإنما مواجهته، ولو ترتب على هذه المواجهة التضحية بالذات، فالرفض ظاهرة جدلية جوهرها الانفصال وباطنها السعي نحو الحرية (5).

فالذي يجعل الشعراء يصبغون شعرهم بالرفض هو سعيهم لتحرير أوطانهم من الاحتلال والظلم المُخيم عليهم من جهة ومن جهة أخرى قد يكون من الحُكَّام الظلمة والمستبدين الذين يظلمون شعوبهم الضعيفة.

وإذا نظرنا إلى تاريخ الرفض، نجده قائماً على تغيير الأوضاع الفاسدة، " فالرفض ليس عملاً مُنكراً ولا مُستهجناً، فالأنبياء رفضوا أوضاعاً فاسدة أو ضارة في مجتمعاتهم وأرسوا قيماً صالحة للبشر" (6). والرفض في الأدب إيجابي منتمٍ يُقبل الأديب فيه على الواقع؛

1. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (ص 829-830)

2. ابن منظور، لسان العرب، (مج 7 / 156-158)

3. عموري: نعيم، الرفض في شعر عدنان الصائغ، (ع 52 / 218)

4. لابلاش وبونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، (ص 262-263)

5. قطّوس: بسام، استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي)، (ص 164)

6. الدبّاغ: فخري، في ضمير الزمن (أحاديث في الإنسان والمجتمع)، (ص 9-10)

ليغيّره، فمهمته تغيير الواقع بالمواجهة، والدفاع عن الحرية، والمحافظة عليها.

وقد يكون الرفض لظلم وقع على جماعة أو شعب فيظهر من بين الشعب من يرفض واقع الظلم وينادي بالحرية لشعبه. والرفض يُعَرِّب الإنسان من الحرية، يقول أدونيس: " الرفض، بحد ذاته، عنصر هدم، لكن ما من ثورة جذرية، أو حضارية تأتي، دون أن يتقدمها الرفض ويُمهِّد لها، كالرعد الذي يسبق المطر " (1).

يعدُّ الخطاب الأدبي الصادر عن الأديب، الصدى الحقيقي لما يجول في نفسه من أحاسيس، ويحيط فكره من أفكار، فتتنازع هذه المدلولات فيما بينها لتتسج لنا عملاً أدبياً، تتخلله الحياة الفردية التي تحيطها الجماعة. والفرد وسط مجتمعه ناقد لما يراه ويعيشه من أحداث، فيكون له بذلك موقف بارز يبين فيه علاقته بالمجتمع ورأيه في الأحداث الجارية، كما يكون له موقف داخلي يرفض به ما يراه غير سويّاً، ولا يتماشى مع عقيدته وأفكاره وميوله. فيقوم بفضح الواقع المتخلف، ليرسم واقعاً أكثر إشراقاً وعدلاً وإنسانية.

فالرفض كظاهرة - كما يراها الدارسون - تحمل صفة التمرد على أوضاع سياسية واجتماعية خاطئة ويُحاول الشاعر من خلال قوله "لا" رفضها باحثاً من خلال رفضه عن طرق للمواجهة لتغيير واقعه.

يمثل خطاب الرفض سيكولوجية خاصة بالشاعر، تسير معه في كل إنتاجه الأدبي، الذي تنعكس فيه ذاته وثورته على ما هو قائم بغية إحداث تغيير ما، وهذا ما يحيلنا على مصطلح التمرد، الذي نجده عند ألبير كامو الذي يصف الإنسان المتمرد بقوله: " هو الشخص الذي لا يجاوز الواقع بسبب قسوة الظروف التي تتحكم فيه ولمّا كان الأمر كذلك، فهدفه هو إحداث تغييرات جزئية في هذا الواقع " (2). ويختلف التمرد عن الرفض من أن التمرد مواجهة وغضب أمّا الرفض ففيه رفض لواقع تعيشه الجماعة، والرفض لهذا الواقع لا يكتفي بالرفض، بل يُقدّم بدائلاً لإصلاح هذا الرفض، ليصبح الواقع أكثر إشراقاً يرضاه الرفض؛ ليتوقف عن الرفض ويشعر به بالحرية والأمان.

وفي الشعر الحديث درس موضوع الرفض في كثير من الدراسات، فقد درس عند القدماء فدرس عند أغربة العرب في الجاهلية، ودرس في العصر الأموي، والعصر العباسي عند أبي العتاهية وأبي نواس وأبي تمام، ودرس عند المتنبّي وغيره، كما ودرسه الدارسون عند الشعراء المُحدثين فدرس عند أمل دنقل، وفدوى طوقان، وعدنان الصائغ، والجواهري، وغيرهم. وأهم الدراسات درسته بالبحث عن دوافع الرفض عند الشعراء وأهم المضامين الشعرية والتشكيل الفني للرفض.

المبحث الثالث: وسائل التشكيل الفني لخطاب الرفض عند رجا سمرين:

الشاعر رجا سمرين رافض لكل أشكال الهيمنة والظلم التي تُمارسها الدول القوية على الضعيفة والتي تُمارسها الأنظمة العربية على شعوبها، والتعسف والملاحقة لطبقة المُثقفين والمُناضلين، فقد أحبَّ وطنه وعانى من الغربة في الدول العربية وبعد ذلك

(1) تيجاني: محمد، مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقعه من ثورة الجزائر التحريرية، (ص 69)

(2) أدونيس، زمن الشعر، (ص 161)

بالتنمر وفي النهاية بالرفض، وظهر الرفض كظاهرة في كل شعره.

إنَّ رجا سمرين شاعر ملتزم تجاه قضية وطنه وقضايا أُمته. وهذا الالتزام هو ما صبغ شعره كله بالرفض فعاش طيلة حياته مُغترباً مُنتقلاً بين البلدان العربية لكسب عيشه ونشر العلم والوعي كأكاديمي يُدرِّس الأدب العربي. والرفض في الشعر كالرفض في الواقع، يلتزم فيه الشاعر بالقضية المحورية التي يتبناها ويلح عليها في شعره. ويرى إحسان عباس أنَّ "الالتزام هو الجانب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشعر والمجتمع، وهي ليست علاقة أخذ وعطاء ولا علاقة انصهار أو ذوبان، وإنما هي علاقة تطابق.. ولهذا كان الالتزام مرتبطاً بالثورة، وبالوجود.. ويجيء على شكل الدفاع عن إنسانية الإنسان. وكذلك فإنَّ الثورة حين تعتمد التحطيم ترتبط بالإخافة ويرتبط جانب من الشعر بالرفض"⁽¹⁾. فسمرين يعيش حالة التزام لقضايا مجتمعه وأُمته وما وجده في حياته من ظلم وتسلُّط وقهر جعله يتخذ من الرفض في شعره وسيلة وسلاح للتوعية والتغيير، لمواجهة الظلم والقهر واجب والالتزام على كل إنسان يحبُّ أُمته ووطنه، ويسعى إلى تحريرهما من المحتل.

لاحظ نقادنا القدماء بأنَّ الشعر لا يقال إلاَّ بدافع، فهذا ابن قتيبة يتحدث عن دوافع الشعر فيقول: " وللشعر دواعٍ تحثُّ البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب"⁽²⁾. والشاعر الرفض شاعر غاضب يرى أنَّ الواقع الذي يحياه واقعاً مريراً، يرفضه ويبحث عن بديل أفضل له، فلا يجد إلاَّ النضال والمقاومة بديلاً يجلب الحرية ويطرد الاحتلال. فمشاعر الرفض لواقعها عندما تكون قوية ولا يصل لحل أو طريقة لتحرير وطنه بها، يتغيَّر رفضه من عنفوان إلى فلسفة يتبناها في حياته فيسعى إلى إصلاح العيوب ويبحث عن بدائل لرفضه متى ما التزم بها الشعب تحرر وطنه وطرد المحتل منه.

إذن يقوم الرفض على فلسفة خاصة وعلى مجموعة من أفكار تبناها الرفض في خوض معاركه مع الواقع الاجتماعي أو السياسي أو الفكري، وفلسفة الرفض ليست مذهباً سلبياً من الوجهة النفسانية⁽³⁾. فلا يجابه الرفض واقعاً أو فكراً أو مُعتقداً بالرفض والنفي إلاَّ إذا كان على قناعة فكرية ودراية علمية أنَّ ما يملكه وما يريد تقديمه يكون بديلاً لما يرفضه وما يريد استبداله. " فالرفض يوجب اتصاف صاحبه بقوة الإرادة لا بضعفها أو فقدانها، ولا يرفض شيئاً إلاَّ لأنَّه يتبنى شيئاً بديلاً "⁽⁴⁾.

ولا يولد الشاعر رافضاً، ولكنه عندما يرى الظلم والدُّل في حياته يبدأ أولاً بالشعور بالغربة عن واقعه ثم يتحوَّل مع الوقت إلى غضب وتمرد، ومتى ما أصبح وعيه وفكره وإدراكه لهذا الواقع المرير يبدأ بالغضب والبحث عن بدائل لمقاومة الظلم، تصبح عنده رؤية ومُخطط لمقاومة الظلم عندها يصبح الشاعر رافضاً. فهو لا يرفض لأنه متمرد، بل رفضه يكون نابعاً عن حل لإرجاع الواقع

(1) عباس: إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، (ص 156)

(2) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، (ص34-35)

(3) باشلار، فلسفة الرفض: مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد، (ص5)

(4) محمد: سعيدي، الرفض في الشعر العربي المعاصر، (ع7/ص130)

إلى سابق عهده يشعر فيه بالأمن والكرامة في وطنه الحر. وهذا ما حدث مع الشاعر رجا سمرين في حياته وإنتاجه الشعري والذي أوصله إلى الرفض. لقد بدأ سمرين بالتدرج للوصول إلى حالة الرفض في شعره. لقد تأججت نار الرفض في صدره، وانتقلت إلى شعره الرفض لكل ظلم واستبداد. فهو بشعره الرفض يحاول أن يتحرر عن طريق فضح الواقع ورسم واقع ثوري بديل يحقق له الحرية. وكما قال أدونيس: "مهمة الرفض تكمن في إرادة التغيير وليس استجداء الراحة والسلام ... هو مواجهة للواقع" (1).

يُعد الخطاب الأدبي الصادر عن الشاعر هو ما يجول في نفسه من أحاسيس، ويحيط فكره من أفكار لتتسج لنا عملاً أدبياً، يكون له موقف يرفض فيه ما يراه مخالفاً لعقيدته ولأفكاره ولميوله. فيفضح الواقع المتخلف. فالرفض في شعر رجا سمرين قضية محورية لفضح الواقع وتعريته، ليرسم واقعاً أكثر إشراقاً وحرية وعدلاً مستخدماً الرفض المباشر أو المواجهي الذي يشبه ما يصفه عدنان قاسم "بالتجربة العريضة... كاعتصاب وطنه" (2)؛ لتحقيق دعوته النضالية لتحرير وطنه المغتصب. فبالرغم من شعر رجا سمرين الرفض الذي يُغطي مساحة كبيرة من شعره، نجد أن رفضه لم يهتم به أحد. وهذا حال الكثير من المبدعين والشعراء الراضين الذين ماتوا ولم يهتم برأيهم أحد من أمتهم، أمثال محمود درويش وفدوى طوقان وأمل دنقل وغيرهم.

لا يولد الشاعر رافضاً، ولكنه عندما يرى الظلم والذل في حياته يبدأ أولاً بالشعور بالغربة عن واقعه ثم تتحول مع الوقت هذه الغربة إلى تمرد ومتى ما أصبح وعيه وفكره وإدراكه لهذا الواقع المرير يبدأ بالغضب والبحث عن بدائل لمقاومة الظلم وعند ذلك تصبح عنده رؤية ومخطط لمقاومة الظلم عندها يصبح الشاعر رافضاً فهو لا يرفض لأنه متمرّد، بل رفضه يكون نابعاً عن حل لإرجاع الواقع إلى سابق عهده يشعر فيه بالأمن والكرامة في وطنه الحر.

وهناك العديد من العوامل التي صبغت حياة رجا سمرين بالرفض وأوصلته إلى تلك الحالة ومنها:

أولاً: رفض كل الأنظمة العربية التي ما دافعت عن كرامة العرب وما واجهت الظلم المتمثل باحتلال فلسطين. ولم يقفوا مع أهلها المُشردين. يقول واصفاً معاناة شعب طُرد من وطنه:

فجازونا بظلم واضطهادٍ	تقانيّا بحبّ بني أبينا
ولم نحصد سوى أوهى حصادٍ	جنّوا من كدنا أشهى ثمارٍ
جرحنا لم يجودوا بالضّمادِ	وداويّا جراحهمُ فلما
وباعوا القدّس بخُسا بالمزادِ (3)	ورمّنا عَونهمُ فبَعَوْا علينا

(1) أدونيس، زمن الشعر، (ص161)

(2) قاسم، عدنان، التصوير الشعري (رؤية نقدية لبلاغتنا العربية)، (ص23)

(3) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص 205-206)

فيحاول أن يُرجعنا للتاريخ ليخبرنا عن وقوف أهل فلسطين مع العرب، ولكن عندما احتاجوهم تخلوا عنهم.

ثانياً: عاش الشاعر رجا سمرين حالة اغتراب طويل بدأه وعمره سبعة عشر عاماً عندما لحق بوالده إلى مصر في عام 1947م، وتنقله بعد ذلك في البلدان العربية للعمل معلماً في الجزائر والسعودية والكويت والأردن حتى وقت وفاته.

" يرتبط الرفض عادة بالشعور بالاغتراب، هذه النزعة التي تتولد من ظروف صعبة يستشعرها الفنان بوجه خاص لما خُصَّ يتميز به من إحساس قوي بالأشياء في ذاته ومن حوله" (1).

فالاغتراب نوع من النفي القسري الذي مني به بعد احتلال وطنه. ففي قصيدة له بعنوان " آمال كاذبة" يتحدث عن ذهابه للكويت للعمل، يقول سمرين:

وقالوا توجّه لأرض الكويت لتُصْبِحَ ذا ثروة طائلة
فإنَّ رِمَالِ الْكُوَيْتِ نُصَارٌّ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّابِلَةِ
أَقْمُ فِيهِ بِضْعَ سِنِينَ لَتَنْجُو مِنَ الْعِيشَةِ الْجَهْمَةِ الْقَاتِلَةِ ...
فيا مَنْ ظَنَنْتَ بَأَنَّ الْكُوَيْتَ مَحَطُّ نُفُوسِ الْوَرَى الْأَمَلَةِ
حَنَانِيكَ لَا تَنْزِلُنْ أَرْضَهَا فَمَا هِيَ إِلَّا رُبِّي قَاحِلَةٌ
وَمَا هِيَ إِلَّا سَرَابٌ مُضِلٌّ وَغُولٌ لَأَبْنَائِهَا آكِلَةٌ (2)

ثالثاً: الواقع المزري للشعب الفلسطيني ومعاناتهم داخل فلسطين وخارجها في الدول العربية وتعذيبهم وامتهان كرامتهم من قبل محتل غاشم يرى قتل أبناء فلسطين عبادة وتقرباً إلى خالقهم. فلم يتوان الشاعر عن قول الشعر النضالي الذي يحض فيه أبناء وطنه عن مواجهة المحتل بكل شيء متاح.

رابعا: لم يشعر سمرين بالأمن لأنه كان من طبقة المثقفين من جهة وكان شاعراً من شعراء المقاومة، فكان مُطارداً من قبل المخابرات في كل دولة عربية يذهب إليها، ويتعرّض للتحقيق والملاحقة. وأيضاً خروجه من وطنه بعد الاحتلال وتنقله بين الدول طلباً للرزق زاد من عدم الأمان عنده، حياة التشرد بحثاً عن الأمن الذي فقده بضياح وطنه. ففي قصيدة بعنوان " في غرفة التحقيق" يصف ما يحدث في مبنى المخابرات في إحدى الدول العربية، يقول:

(1) بغورة: محمد، نزعة الرفض وأثرها في تشكيل الشعر العباسي (أبو العتاهية وأبو نواس وأبو تمام)، (ص 17)

(2) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص 118-119)

مُنْتَهَمًا بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ وَالطَّعْنِ وَالتَّجْدِيفِ وَالْمُرُوقِ

وَالثُّورَةِ الْحَمْرَاءِ وَالتَّأْمُرِ عَلَى نِظَامِ الْحُكْمِ وَالْمَقَاخِرِ

وَهَيَّأُوا وَسَائِلَ التَّعْذِيبِ وَالرُّعْبِ وَالتَّنْكِيلِ وَالتَّأْدِيبِ

فَانْهَارَ لَمَّا أَنْ رَأَى الْوَسَائِلَ وَصَاحَ مَدْعُورَ الْفُؤَادِ قَائِلًا: ...

أنا الذي لَمْ يَسْتَسْخَعْ عِوَاءَ كُلِّ كَلْبٍ أنا الذي لَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَ بِكُلِّ دَرَبٍ (1)

خامساً: الحساسية عند الشاعر جراء شعوره بالاعتراب والتزامه الديني جعلاه يرفض كل ما كان يراه عيباً أو يخالف الأخلاق والقيم في حياته في جميع المجالات، فجعلته يكشف العيوب ويضخمها ويُسَوِّدُهَا لإصلاحها.

سادساً: استشهاد ابنه الثاني محمد في لبنان أثناء ذهابه لإكمال دراسته الجامعية عام 1982، مما صبغ هذا الخبر نفسه بالغضب والرفض لما يحدث في لبنان، وتقاعس العرب عن نصرتها والوقوف بوجه الاحتلال. وقال في ذلك:

وَاسْتُشْهِدَ الْأَلْفَ مِنْهُمْ يَا سَيِّدِي الرَّئِيسَ

يَا أَبَا عَمَّارَ

وَكَانَ فِيهِمْ نَجْلُهُ الْأَيْثَرُ

مُحَمَّدٌ ذَاكَ الَّذِي قَدْ وَرِثَ الْبُطُولَةَ

عَنْ جَدِّهِ الْكَبِيرِ (2)

سابعاً: تفجّر غضبه ورفضه عندما وقّعت منظمة التحرير الفلسطينية اتفاقية أوسلو عام 1995م، وتغيّر شعره، فقد بدا فاقداً للأمل من تغيّر الأحوال، حتى أنّه مزج شعره الراض بالسخريّة. ففي قصيدة له من قصائد الرفض وهي رسالة أرسلها إلى أبي عمار (ياسر عرفات) رافضاً هذه الاتفاقية واعتبرها خيانة لدماء الشهداء، يقول:

وَفَجْأَةً وَفَجْأَةً يَا سَيِّدِي الرَّئِيسَ

أُغْلِنَ عَيْرَ كُلِّ مَا يَنْقُلُهُ الْأَيْثَرُ مِنْ أَنْبَاءِ

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص354-357)

(2) المرجع السابق، (ص56-57)

بِأَنَّ وَاحِدًا يُدْعَى أَبَا عَلَاءٍ ...
 قَدْ سَلَّمَتْ بِلَادَنَا إِلَى بَنِي الْعَبْرَاءِ
 مِنْ كُلِّ لَصٍّ أَبَقٍ مِنْ سَائِرِ الْأَرْجَاءِ
 وَبَارَكْتَ دَوْلَتَهُمْ عَلَى تُرَابِ أَرْضِنَا الْمَغْطَاءِ ...
 وَهَلْ؟ وَهَلْ؟ وَهَلْ؟ وَهَلْ؟
 مَنْ أَجَلَ ذَا نَاضَلَتْ الْأَجْيَالُ؟! ...
 وَتُصْبِحُ الشَّرْطَةُ فِي قِطَاعِ غَزَّةِ الْكَيْبَةِ ...
 حَارِسَةً لِلْسَيِّدِ الْمِفْضَالِ
 حَبِيبُنَا "بَيْرِيرَ" وَابْنِ عَمَّنَا "إِيْجَالُ"!!!⁽¹⁾

عند دراسة ظاهرة أدبية ما كظاهرة الرفض أو استراتيجية الرفض كما يطلق عليها بعض النقاد، علينا أن نقرأ النصوص الشعرية للوقوف على دلالاتها والتعرف على رموزها، وما يرمي إليه الشاعر في خطابه الشعري الموجه للمتلقين. وبعد قراءة النصوص وجدت الدراسة أن هناك الكثير من الرفض في شعر رجا سمرين، وهذا الرفض الموضوعي يُؤطر الشعر ويُحدد معانيه ومضامينه. ولأن الرفض كظاهرة مرتبطة بجميع نواقص وعيوب الواقع في جميع المجالات، فقد رفض كل السلوكيات الخاطئة التي وجدها في واقعه. **ففي المجال النفسي:**

رفض سمرين كل أشكال الظلم في حياته. ويرفض الواقع الذي يحياه، مخاطباً طفله، يقول:

ولدي أتيت وملء عالمنا مظالم لا تعدُّ
 تتحكَّم الأهواء في أبنائه ويسود حقدُ
 وتقودهم نحو الدمار مطامع ليست تُحدُّ
 دستورهم سلب وإرهاب وتقتيل وقيدُ
 يطغى القوي على الضعيف ويدعي الإخلاص وغدُ

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص 57-60)

ويظلُّ يصرخُ بالعدالة وهو وحشٌ مُستبدُّ (1)

فيرى بأنَّ الأهواء والأطماع هي دستور البشر وقانون الغاب هو المعمول به عند الأشخاص وعند الدول، فالقوي يظلم الضعيف، باسم العدالة وهو ظالم يتخذ من صراخه وسيلة لإقناع الآخرين بأحقّيته للظلم. ويرفض تغير الزمن عندما يتحول الشجاع فيه إلى بهلوان ذليل، يقول:

لأنّا لم نَعُدْ يا أمَّ عمرو كما كنّا نُصارعُ كلَّ شرٍ
وَأُمْسَتْ لَعْنَةُ الزَّمَنِ المُدَاجِي تُطَارِدُ خَيْلَنَا فِي كُلِّ قَفَرٍ
فَقَدَّمَتِ اسْتِقَالَتِهَا خُيُولٌ نَذَرْنَاها لِفَتْحِ ثَمَّ نَصْرِ
وَأُمْسَتْ بِهَلْوَاناتٍ دَلُولاً بِسِرِّكَ الْخِزْيِ تَقْفِرُ ثَمَّ تَجْرِي (2)

رفض الشجعان ورموز النضال الذين تحولوا مع الزمن إلى بهلوانات وتغيروا فأصبحوا أضحوكة؛ لأنهم فضّلوا مصلحتهم الشخصية على مصالح أمتهم، مما جعلهم سبباً لعدم تحقيق الأهداف المأمولة بهم. ويظهر في هذا البيت معرضاً بشخصيات كان يحسبها وطنية ستجلب النصر ليتفاجأ بأنّها أصبحت كغيرها ممن يبيع الأرض وتصبح كالبهلوانات تفعل ما يطلبه منها سادتها، فألحقت الخزي، لقد تحوّلت إلى " مساند للاستعمار وخادماً له" (3).

وأما في مجال الخطابة:

سواء أكانت دينية أو غيرها من أنواع الخطابات، فهو يرفض عمل الواعظين الذين يتخذون من الوعظ عملاً يأخذون عليه أجراً، فيصير رفضه وظيفة لا أكثر، يقول:

بينما الواعظون يُلْقُونَ وَعْظاً ثُمَّ يَبْنُونَ بِالْأَجْرِ الْقُصُورَ
لَيْسَ يَرْضَوْنَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْأَجْرِ وَلَا يَأْخُذُونَ إِلَّا الْكَثِيرَ (4)

فقد انتشر مثل هؤلاء الوعّاظ، وسلوكهم هذا من العيوب التي يرفضها الشاعر، لأنَّ صاحب الدعوة يُرشد الناس إلى الإيمان وأجره على الله، لا يتخذ من وعظه عملاً يأخذ عليه أجراً، بل راح يصوّر بناءهم للقصور الفخمة الناتجة عن أجور

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص451)

(2) المرجع السابق، (ص559)

(3) سريس: محمد، خطاب الرفض في شعر محمد بلخير، (ص104)

(4) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص449)

عالية تقاضاها أصحاب الخطابات مقابل تخدير الأمة بالشعارات الرثانة ثم بيع القضية بعد ذلك.

وأما في المجال الأدبي:

فهو يرفض ما يحدث للأدباء في هذا الزمان من عذاب ومعاناة، يقول سمرين:

قَدْ ظَنَنْتُ الدَّهْرَ يَصْفُو لِلْأَدِيبِ خَانَكَ الْوَهْمُ وَغَرَّتْكَ الظُّنُونُ
فَاسْتَنْقِ مَنْ ذَلِكَ الْحُلْمِ الْغَرِيبِ وَاعْتَرِفْ مَا شِئْتَ مَنْ نَبْعِ الشُّجُونِ (1)

يتحدث الشاعر عن حال الأديب، وقد كان يظن الخير في الحياة، فهو يراها من منظور أدبي، وربما قصد رومنسي حتى تبين له أن ما يره ما هو إلا حلم أديب أما الواقع فهو مرير، وأن الواقع المرير هو الذي يسكب عليه من أشكال الآلام ما يمد به بمعاني الشعر وأشكاله، ولا غرابة في ذلك، فسمرين يرى أن الأديب أو الشاعر إن كان صاحب قضية فهو يعاني كثيراً في حياته ويجد الآلام والعداوة من الكثيرين. ويرفض ما يقوم به بعض النقاد بإشغال الحرب على ناقد صادق؛ لأنه صاحب ضمير وعلم بالنقد، يقول سمرين:

وَكَمْ مِنْ نَاقِدٍ عَذِلَ تَرَاهُ عَلِيماً يُغْلِي الْحَقَّ الْمُيِّنَا
تَعَرَّضَ لِلْمَهَانَةِ وَالتَّجَنِّي بَلَا خَجَلٍ مِنَ الْمُتَنَاقِدِينَ
فَدَغَ عَنْكَ التَّجَنِّي يَا جَهُولٌ لَيْسَتْ مَلَابِسَ الْمُتَعَالِمِينَ (2)

لقد أصبحت الساحة الأدبية ملوثة بضعاف النقاد الذين يتآمرون على كل ناقد صاحب معرفة وضمير، فيرفض ما يصنعونه من هجوم لا طائل منه، لأن الحق واضح والباطل ولو كثر فيبقى باطلاً، واستخدم كم الخبرية التي تعلمنا بكثرتهم، ويخاطبهم في البيت الأخير بمخاطبة المفرد كونهم يُمثّلون الباطل، بأن يتركوا تجنيهم وهجومهم فهم جهلاء، وإن لبسوا لباس النقاد العالمين، فنقدهم السطحي وتجنّيتهم يدل على جهلهم.

وأما في المجال الاجتماعي: فيرفض ما يقوم به أهل الفتيات من اختيار العريس الغني على صاحب الأخلاق والدين والعلم، يقول سمرين:

فَأَتَاكَ جِلْفٌ يَشْتَرِيكَ بِمَالِهِ فَقَضَى أُبُوكَ الْأَمْرُ بِالْإِرْغَامِ
لَمْ يُعِنْ عَنْكَ تَوْسُلُ أَبْدِيَّتِهِ غَلَبَ الصَّبَابَةُ مَنْطِقُ الْأَرْقَامِ (3)

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص470)

(2) المرجع السابق، (ص244)

(3) المرجع نفسه، (ص488)

فهو يرى بأن المال في هذا الزمن هو الذي يهيم الناس حتى أنه يُقدّم على صاحب العلم والأخلاق والدين، وهذا ضد ما جاء به الإسلام عند اختيار الزوج الصالح، تدل هذه المعاني على رفض الشاعر للقيم المستحدثة الغربية عن قيمنا العربية والإسلامية. وخاصة أنّ هذه القصيدة فالها في شبابه عندما طلب يد فتاة مصرية أحبّها، ولكنّ أباهما فضّل عليه صاحب المال، كبير السن. وهو شاب فقير لا يملك سوى علمه وأخلاقه، فالمال كما يراه الشاعر يغلب العلم والأخلاق في هذا الزمن. واستخدم (لم يُغن) وهي من أدوات الرفض للدلالة على إرغام الفتاة من الزواج بغير ما تريد، وهذه من العيوب الاجتماعية التي تحدث غالباً في المجتمع العربي. وفي قصيدة أخرى يرفض الشاعر سلوك المتكبرين في تعاملهم مع الآخرين، وبأنّهم فوق البشر، يقول سمرين:

مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا الَّذِي قَدْ صَدَّ عَنِّي

أَتَظُنُّ أَنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

لَا، لَا تَصُدُّ فَأَنْتَ مِثْلِي لَنْ تَعِيشَ

حَتَّى الْأَبَدِ

لَكِنْ سَيَبْلُغُكَ الْعَدَمُ

ويظنُّ ذِكْرِي خَالِدًا عِبرَ الدُّهُورِ (1)

يُخاطب سمرين هذا المُتَكَبِّر الذي صَدَّ عنه تكبراً، ويُشير مُتسائلاً هل نسي أنهما مخلوقان من طين. وكأنّه يتمثّل بيت إيليا أبو ماضي عندما قال:

نَسِيَ الطِّينُ أَنَّهُ طِينٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تَيْهًا وَعَزِيدٌ (2)

ثمّ أخبره بأنّ الموت سيكون نهاية حتمية للبشر وخاصة المتكبرين، ثمّ يعقد مُقارنة بينه وبين هذا المُتَكَبِّر، بأنّ شعر سمرين سيُبقيه خالداً عبر الأزمان على عكس المُتَكَبِّر، فبمُجرّد موته سَيُنْسَى إلى الأبد، فالشعر أبقى ذكر الشعراء خالداً منذ آلاف السنين في حين لم يذكر التاريخ من تكبّر عليهم. فالتكبر صفة ذميمة انتشرت بين أفراد المجتمع التي عابها الشاعر ودعا إلى تركها؛ لأنها تجلب الحقد والبغضاء بين أفراد المجتمع.

وأما في مجال التعليم:

فهو يرفض ما يقوم به الطلبة من غش في الامتحانات، فالغش يُدمر الأمة، وبه يصل من لا يستحق إلى المراتب العالية، يقول

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص458)

(2) أبي ماضي: إيليا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص579)

سمرين:

إِنَّمَا الْغِشُّ فِي الْأَدَبِ هُوَ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ
وَأَتْرَكَ الْغِشَّ يَا فَتَى إِنَّهُ مَنبَعُ الْكُرْبِ
إِنَّمَا الْغِشُّ سَقُطَةٌ تُوقِعُ الْمَرْءَ فِي الْعَطَبِ
إِنَّهُ سَاءَ مَسَلَكًا إِنَّهُ شَرُّ مُنْقَلَبٍ (1)

ورفض الشاعر للغش له مسوغات كثيرة أهمها رفض الإسلام للغش، وأنَّ الغش يصبح طريقاً سهلة للغشاش في النجاح بحياته، ويكون أثره على المجتمع كبيراً، ونتائجه وخيمة.

وأما المجال السياسي:

لقد احتلَّ الرفض السياسي أغلب إنتاج سمرين الشعري، ملأه غضباً ورفضاً وإدانة. وأما أهم المضامين السياسيّة التي تطرّق إليها في شعره الرفض:

رفض الاحتلال:

لقد كان الوطن المُحرَّك الأساس في شعر الرفض عند رجا سمرين، كيف لا؟ وقد ولد وعاش طفولته ونشأ فيه، ثُمَّ وجده يُغتصب من أهله، ويُغادر وطنه دون رجعه، فالوطن قضيته الأولى وسبب وجوده في هذه الحياة وأمنه وسعادته مرتبط بتحرير وطنه، فهبَّ كغيره من شعراء فلسطين يناضلون بشعرهم، ويدعون بكل الوسائل والطرق لتحرير وطنهم. فقضية حياته هي القضية الفلسطينية، فشعر سمرين يُلقي الضوء على معاناة الفلسطيني داخل وخارج فلسطين ورفضاً كل أشكال الظلم الذي تعرّض لها الفلسطيني في واقعه التاريخي الممتد منذ اغتصاب فلسطين عام 1948م. قال في قصيدة رافضة يُخاطب أهل فلسطين:

إِلَامَ رِضَا الْهَوَانِ وَأَنْتَ حُرٌّ وَنَفْسُ الْحُرِّ تَأْبَى أَنْ تُضَامَا
أَلَمْ تُغْضِبْكَ آهَاتُ النَّكَالِ؟ أَلَمْ تُوقِظْكَ أَنَاثُ الْيَتَامَى؟!
أَلَيْسَ الْمَوْتُ خَيْرًا مِنْ حَيَاةٍ بِهَا تَلْقَى الْمَجَاعَةَ وَالْأَوَامَا؟! (2)

فالشاعر يستخدم الاستفهام الإنكاري المجازي الذي لا يطلب إجابة له فالإجابة معروفة (إلام، أَلَمْ، أَلَيْسَ)، والاستفهام المجازي الذي يُعمِّق الرفض، فالاستفهام من أساليب الرفض لتقريع المُخاطب وليس لطلب الجواب، لأنَّ الفعل قد تمَّ، ووجبت

1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص526)

2) سمرين، رجا، 2002، ص425

المقاومة. فالعرب رضوا الهوان واستسلموا له مع أنهم أحرار، والحر يرفض الظلم، ويرى الموت خيراً من حياة مُتمثلة بالجوع والعطش في مخيمات اللاجئين بعد طردهم من بلادهم، لذلك فهو يدعوهم للمقاومة والموت على الاستسلام في مخيمات اللجوء. وأوّل ما وصف سمرين في شعره حال النازح عن وطنه ومعاناة الشعب الذي قُهر خارجة، يقول:

كَيْفَ تَصْفُو الْحَيَاةَ لِلنَّازِحِ الصَّبِّ وَيَهْنَأُ الْمَكُوبُ بِالْإِنْشَادِ
وَرُبَاكَ الْخَضِرَاءُ أُمَسَّتْ حَرَاماً لِحُيُوشِ الْأَنْدَالِ وَالْأَوْغَادِ (1)

يوظف الشاعر الاستهزام المجازي الذي لا يطلب منه الإجابة وإنما "يُجسّد عمق المعاناة التي تستبطن الذات" (2)، ويستخدم المقابلة بين حال أهل فلسطين والمحتل، ليعمّق حالة الرفض التي يشعر بها فقد طرد أهل فلسطين منها ليعيشوا في الخيام والمغتصب يعيش في منازلهم، ويطرّع على ربا فلسطين الخضراء ينهل من ثرواتها ويعيش في جنة سلبها من أهلها، ويعترف له العالم بأكمله بهذه الأكذوبة، ولا يجد من يُدين هذه الجريمة النكراء:

قَدْ صِرْتُ يَا وَطَنِي مَلَاذاً لِلشَّرِيدِ وَلِلطَّرِيدِ وَبَنُوكَ فِي جَوْفِ الْخِيَامِ بِلَا شُعُورٍ كَالْعَبِيدِ
رَكُنُوا لِظُلْمِ الْغَاشِمِينَ وَقَدْ رَضُوا ذُلَّ الْفُيُودِ وَجَنَائِكَ الْفَيْحَاءُ قَدْ أُمَسَّتْ مِرَاحاً لِلْيَهُودِ (3)

هذه هي الحالة السوداوية التي وصل إليها أهل فلسطين بعد أن طردوا من وطنهم، وسكن أرضهم ظالم غاشم فصارت بلادهم سكناً له. وللتأثير في المتلقي استخدم الشاعر التشخيص فجعل وطنه إنساناً وخاطبه مُستخدماً النداء لأنّه بالشوق والحرمان والتوتر بذكر وطنه فينعكس ويتجلّى في هذه الوطن الذي يُخاطبه ليُصبح رموزاً لانفعالات الشاعر ونجاه ووصف له الحالة التي وصل إليها، واستخدم المقابلة بين حال أهل فلسطين الذين عاشوا في الخيام مُشرّدين، ورضوا بحياة ذليلة في مخيمات اللجوء، وبالمقابل أصبحت جنات فلسطين مراحا يستبيحها اليهود.

ولأنّ الشاعر التزم بالرفض منهجاً ورؤية فهو يرفض كل مَنْ يزرع في عقول أبناء وطنه الصبر والانتظار؛ لأنّ الصبر يُدخل الجنة، ويصف من يجيبهم بأنهم ضائعون، يقول:

أَلَا أَيُّهَا الضَّائِعُونَ الْعَفَاةُ أَفَيْقُوا أَفَيْقُوا، كَفَاكُمْ سُبَاتٌ
أَرَى الْأَفْقَ قَدْ غَصَّ بِالتَّائِرِينَ لِنَيْلِ الْحُقُوقِ وَسَخْقِ الطُّغَاةِ

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص424)

(2) حسين، فاتنة، تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان، (ص137)

(3) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص424)

وَأَنْتُمْ تَعْطُونَ مِثْلَ الْقَطِيعِ يَسِيرُ أُنَى تُرِيدُ الرُّعَاةَ (1)

ويستخدم فعل الأمر (أفيعوا) ويكرره؛ والتكرار من دالات الرفض المباشر الذي يعتمد عليه الشاعر ليؤكد رفضه للحالة التي وصل إليها شعبه، فهو يراهم في حالة نوم، ويقدم لهم النصيحة التي ترجع لهم وطنهم كما أرجعت من قبل أوطاناً أحتلت لمئات السنين، فالثورة هي الحل الوحيد، وبدون استخدام القوة لن يُسحق ويُطرد المحتل ففي كل الدول التي تتعرض للاحتلال نجد أبناء هذه الدول تغصُّ بالثائرين على المحتل لنيل حرية وطنهم وطرد الطغاة. ويُشبههم بقطيع الأغنام النائمة تمشي وراء رعاتها عن المطالبة بالحرية. ويرفض حال العرب واهتماماتهم الفارغة، فيقول:

وَالْمُسْلِمُونَ بِقَضِيَّتِهِمْ لَاهُونَ بِالْعَيْشِ الرَّغِيدِ الْهَانِي
أَقْصَى مَنَاهُمْ نَصْرَةَ كُرْوِيَّةٍ وَقِرَاعُ كَأْسٍ أَوْ سَمَاعِ قِيَانٍ
قَدْ عَطَلُوا قَرَضَ الْجِهَادِ وَأَبْطَلُوا الدَّ إِعْدَادَ حَتَّى يَلْتَقِيَ الْجَمْعَانِ
وصموا الذين يُفَكِّرون بنصرة الدِّ يَنْ الْحَنِيفِ بَوْصَمَةِ الْعَصِيَانِ
وبأنهم أعداء مَنْ يدعو إلى سُبُلِ السَّلَامِ بِعَالَمِ الإِدْعَانِ (2)

لقد شخّص حال المسلمين في هذا الزمن ورفضه كل أحوالهم، فقد آثروا اللهو وعطلوا فرض الجهاد ولم يعدوا له العُدّة، وجعلوا مَنْ يدعو له عاصين لدينهم ومتعصبين، وهم أعداء لمن يجنح للسلام مع الأعداء. لقد ظهر من خلال هذه الأبيات أنّ الشاعر يدعو إلى تحرير وطنه باستخدام القوة، بالإعداد للجهاد لطرد المحتل، ويرفض ما يقوم به الحكام بعدم الإعداد للجهاد والجنوح نحو الصلح مع المحتل، لإبقاء وطنه بيد هذا المحتل الغاشم، لذا فالرفض عنده رفض عقدي، فهو يرى بأنّ الحكام هم مصيبة المسلمين، ويراهم أشد على شعوبهم من المحتل فهم يققون مع المحتل بعقد معاهدات الصلح.

إنّ تنامي الرفض عند الشاعر في جميع المجالات جعلته يبحث عن حلول وبدائل لرفضه لإعادة التوازن إلى روحه المُهشّمة والقلق المُسيطر عليها، لذا بدأ يضع الحلول مُعَبِّراً عن قناعاته واختياراته، وهذه الحلول هي:

1) الوحدة العربية والعودة إلى الالتزام بعقيدة الإسلام:

يرى سمرين بأنّ الوحدة العربية من بدائل الرفض وهي إحدى المفاتيح التي إذا استخدمها العرب لتقويتهم أمام أعدائهم ستعمل على تحريرهم من استبداد بعض الأنظمة وأيضاً ستحرر أوطانهم المُغتصبة ولا سيما فلسطين، فشعره في الوحدة العربية هي من بدائل الرفض وهي طريق التحرر. يرى الكثير من شعراء الأرض المحتلة ومن ضمنهم سمرين بأنّ الوحدة العربية ستكون الخطوة

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص417)

(2) المرجع السابق، (ص45)

الأولى في طريق تحرير فلسطين، ودعا إلى الوحدة والعودة إلى العقيدة لما لهما من دور كبير في كسب القوة التي تمنع الدول الاستعمارية من احتلال دويلاتنا ونهب خيراتها، يقول:

بني أُمّتي إِنَّا غَدونا قَبائلاً
يُمِرّقها خُلْفٌ وتَتَهَشُّها قُصْبُ
أَشَدّاءُ إِذْ نَلقى بني عَمَنا وَإِنْ
أُغارَ علينا الخَصْمُ مَرَقَنا الرُّعْبُ...
بني أُمّتي عودوا إلى الله والزموا
كتاباً به عِزُّ الدُّهورِ لمن يصبو⁽¹⁾

ويُصوِّرُ الشاعر حالة العرب وضعفهم وتشردمهم، فنراهم أشدّاء على بعضهم، ضعفاء إذا كان العدو من غير جلدتهم، وهذه الصفة اليهود في القرآن الكريم، قال تعالى: (لا يُقاتلونكم جميعاً إلا في قُرى مُحصّنة أو من وراء جُدُرٍ بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)⁽²⁾.

وهي تُخالف صفة المسلمين من الشدة على أعدائهم والرحمة فيما بينهم كما في قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ)⁽³⁾. فالشاعر يدعو العرب للعودة إلى دينهم، ويلتزموا ما جاء من تعاليم في القرآن الكريم حتى تتوافق صفاتهم مع المسلمين وتتغاير مع أعدائهم.

وتتظهر المفارقة في قوله عندما يدبُّ الخلاف بينهم نراهم قد أصبحوا على بعضهم أشدّاء أقوياء، لكن عندما يُهاجمهم المُحتل ترى الرعب يُمِرّق قلوبهم، وهذه من القصائد التي مزج فيها بين الرفض والسخرية، فهو يسخر من ضعفهم أمام أعدائهم وقوتهم المُصطنعة على أقاربهم. ويدعوهم إلى الرجوع لدينهم والتزام ما جاء بالقرآن لمن أراد منهم أن يُصبح عزيزاً، ثُمَّ يتحدث عن الخلاف الذي يُمِرّق العرب مُشيراً بشكلٍ ضمني أنّ هذا الخلاف هو سبب ضعفهم وتغوّل العدو عليهم، يقول سمرين:

يُمِرّقنا الخلافُ فلا وفاقٍ
ولا سعيٍّ يُبَشِّرُ باتِّحادٍ⁽⁴⁾

يتحدث عن حال العرب وعن القبلية الجديدة التي صنعها لنا العدو من خلال حدود ترسم بين البلاد الإسلامية والعربية، وما نتج عنها من ضعف، وضياح للبلاد العربية ولا سيما فلسطين، داعياً لكشف المُخطط وعودة العرب إلى إزالة هذه الحدود، فيزالتها اتحاد، وباتحاد العرب عودة المحتل من الأراضي العربية. ونراه يُكرّر في البيت (لا) النافية وهي من أشهر أدوات الرفض وأقواها في التركيب فيقول: (فلا وفاقٍ ولا سعيٍّ يُبَشِّرُ باتِّحادٍ) فعلاقة الحكام العرب دائماً متوترة فلا وفاق يجمع بينهم على مصلحة الأمة، ولا يسعون

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، ص203، 201

(2) [الحشر: 14]

(3) [الحجرات: 29]

(4) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص205)

للوحدة فيبشّر سعيهم بوحدة في المستقبل. فالخلاف سيبقى والضعف سيبقى، لأنّ المعنى المسكوت عنه في البيت أنّ كل حاكم يُفضّل مصلحته وكرسيه على أمته، وتطورها ورفعة شأنها وطردها للمحتل الذي سلبها أجمل ما فيها. والشاعر ساخط على الاحتلال الذي يحصن نفسه ويجمع الأسلحة في فلسطين والدول العربية تمزقها الخلافات ولا شيء يُبشّر بالاتحاد والوحدة. يقول سمرين:

أمست يهودُ ذئاباً في مراتبنا والدُّلّ من دأبها من أقدم الزمن
ولا الخلاف الذي أمسى يُمزقنا لما أقاموا كياناً في ثرى وطني (1)

فالخلاف والتفريق هما أسباب هواننا وتجرو اليهود على احتلال فلسطين، فيرفض هذا الخلاف. فالشاعر يُشخّص المرض والعلاج هو الوحدة العربية وعدم الخلاف حتى يتغير حالهم وواقعهم.

(2) التقدم العلمي:

يرى سمرين أنّ من أسباب ضعف العرب وتحكم الآخرين بهم، تخلفهم وأثر ذلك في بقائهم في الصفوف المتأخرة من العالم الحديث، فلا علم لديهم، وعلمائهم في الدرك الأسفل، بل يُهاجرون لدول الغرب، وانعكاس ذلك على حال العرب تخلفاً ورجعية، يقول سمرين:

أما آن أن تستيقظوا أيّها العرب؟ فقد عمّ في أرجائنا الخطب والكرب
أنوم كاهل الكهف من غير صحوة؟ وداء ولا برء؟ وسلّم ولا حرب؟!
تخلفتمو عن ركب كلّ حضارة كأن لم يكن منكم هداة ولا نجب (2)

فالشاعر يرى أسباب التخلف عند العرب بأنهم نيام وهو داء لا يبرؤن منه، والنوم عنده صفة مجازية وهي الاستسلام لواقعهم ولضعفهم وعدم النضال والجهاد لطرد المحتل، فهو يرفض السلم ويطالبهم بالحرب؛ لأنّ بالحرب تتحرر الأوطان، ويدعوهم إلى طلب العلم للتطور في جميع المجالات، حتى يُعيدوا مجدهم القديم أيام ما كان المسلمون شجعاناً دانت لهم دولتي الفرس والروم. "ويلجأ الشاعر للاستفهام بما فيه من تقرير أو استنكار للفعل، فالاستفهام ليس للإجابة، فالإجابة معروفة وطرح السؤال لتعميق الرفض" (3). ويقول أيضاً في قصيدة بعنوان "الشعب المعوّق":

يا أيّها الشعبُ المعوّق هذا عدوك قد تفوّق

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص503)

(2) سمرين، المرجع السابق، (ص 200)

(3) قطّوش: نورة، بنية الخطاب الشعري في العهد الحفصي خلال القرن السابع الهجري، (ص196)

ماذا سيحدث لو يظلُّ
يقودُ خطوك كلُّ أحمق؟!
هَبَّتْ شُعُوبُ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
فَأَصْمَتْ كُلُّ أُخْرَقٍ
وبقيتْ وحدك خائفاً
لِجَرَّاحِكَ النِّكَرَاءِ تَلْعَقُ
بقيودِ ذلِّكَ راسفاً
فمتى إلى العلياء تَسْبِقُ؟⁽¹⁾

يلجأ كثير من الشعراء الرافضين إلى استخدام أسلوب النداء في قصائدهم الرافضة والغاية من النداء التنبيه، وفي هذه القصيدة يواجه خطابه إلى الشعوب التي تلحق بحكامها، وتبقى متخلفة ويرمز لهذا الشعب بـ (الشعب الموعوق) رمزاً لمن لا يقوم بفعل شيء يفيد، لإعاقة لحقت به أعاقته حركته. " والرمز: تقصده العبارة وإن لم يتحدث عنه، والرمز قرين اللعب بالمعاني يستخدم لحماية صاحبه من الوقوع تحت دائرة الإحباط أو المسؤولية " ⁽²⁾. فهو يسخر من الشعوب العربية التي لا تفعل ما تفعل باقي الشعوب وحتى الأعداء، فالكل يطلب العلم ويتفوق في جميع المجالات، أمّا العرب فيزدادون تخلفاً وتراجعاً وذللاً، فالجهل وعدم التبصر بفائدة طلب العلم هو إعاقة يُعاني منها العرب. فلا يسعون لطلب العلم والتطوير والتقدم في أي مجال من مجالات الحياة. ويستفهم عن حال هذا الشعب باتباعه الحاكم المستبد (ماذا سيحدث لو يظلُّ يقودُ خطوك كلُّ أحمق؟!) بالتأكيد فهو استفهام مجازي لا يطلب الشاعر منهم رداً فالجواب معروف لديهم، سيبقون -كما هم- جهلة وضعافاً وكل العالم سيزداد تقدماً وعلماً.

واستخدم سلوكاً تصويرياً بتشبيههم بالكلاب التي تلحق جراحها لتشفيتها (لجراحك النكراء تلحق) والتي تعتمد على رسم صورة ذهنية مُحَاكِة للفعل الذي يقوم به من اللفظ. فالشاعر يراهم يكبّون على مداواة جروحهم التي سببها الجهل كما يقوم الكلب بلحق الجرح لعلاج. فهو يرفض أن يبقى الشعب متخلفاً جاهلاً ويصف الجهل بالقيود التي تمنع صاحبها عن الحركة (بقيود ذلِّكَ راسفاً)، ثمّ يختم قصيدته باستفهام استنكاري مجازي ليعمّق مضمون الرفض في نفس الشعب (فمتى إلى العلياء تَسْبِقُ؟) فهل سيصل هذا الشعب إلى العلياء بجهله، بالطبع لا، فالعلياء والتقدم والتطور والقوة مرتبطة بطلب العلم والوعي اللذين حرّماه هذا الشعب رضا منه بالتخلف.

(3) المقاومة والقتال:

رفض رجا سمرين واقع العرب والفلسطينيين المرير، بضعفهم وتكالب الأعداء عليهم واحتلال فلسطين، وأوجد البديل بواقع أكثر إشراقاً ألا وهو مقاومة المحتل والنضال من أجل تحرير الأوطان، وبدأ يدعو في شعره إلى القتال والمقاومة وعدم الاستسلام للواقع، يقول سمرين:

لنا الجولة الكبرى غداً حين نلتقي
فإنّا أباة لا ننام على الثأر

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص17)

(2) الهؤال: حامد، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ص47)

ورودُ حياضِ الموتِ أشهى مُرادنا فإمّا ننالُ النصرَ أو لا فللقبرِ (1)

ففي البيت الأول يجد سمرين أنّ اللقاء مع المُحتل لن يكون قتالاً عادياً بين جيشين، بل هو لقاء يثار فيه العرب من عدوهم (لا ننامُ على الثَّارِ)، واستخدم أداة الرفض (لا) للدلالة على التصميم وتأكيد ما يحدث. وهذا يُعيدنا إلى الثَّار عند العرب في الجاهلية، فقد كان للقبيلة مكانة مهمة في العصر الجاهلي، حيث تهبُّ القبيلة كلها لأخذ الثَّار إن قُتل أحد أفرادها، وهذه الصورة التي في ذهن الشاعر، فهو يريد من العرب جميعهم أن يأخذوا بثَّار الأبرياء من أهل فلسطين الذين تعرضوا للقتل على يد الغزاة المُحتلين بدون ذنب. وفي البيت الثاني يرى أنّ القتال ومواجهة المُحتل هي ما يشتهيها أهل فلسطين ويعود في ذهنه بيت من المعلقة زهير بن أبي سُلمي عندما قال:

ومنْ لا يذُدُّ عن حوضِهِ بسلاحِهِ يُهدِّمُ، ومنْ لا يظلمُ الناسَ يُظلمُ (2)

فالقتال للدفاع عن الوطن (حوض) يكون بالسلاح والقوة وإلا سيحتل وطنه ويظلمه الأعداء ويطردونه منه. فهو يرفض الطيبة والسلام الذي يجعل العدو يتمادى في الظلم. فالعرب لا ينامون عن الثَّار ولا يتركونه مهما طال الزمن ويُحدد مصيرهم إمّا النصر أو الشهادة. وأيضاً يرى بأنّ المواجهة مع المُحتل ستكون لتحقيق هدفين وقد أخذ ذلك من عبد الرحيم محمود من قوله:

فإمّا حياةٌ تسرُّ الصديق وإمّا مماتٌ يُغيظُ العدى (3)

فالمواجهة سيكون بها خياران لا ثالث لهما وهما: النصر وتحرير فلسطين، أو الشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن.

ويرفض كل الذين يعيبون على صاحب الموقف الذي يرى مبدأ القتال لردّ فلسطين، يقول سمرين:

قالوا القتالُ فقلْتُ: سُنَّةُ ثائرٍ وسبيلُ تحريرٍ ورفعِ لواءٍ

لولاةٍ لم تنعمْ بسلمٍ أمةً ولقد يكونُ السُّمُّ خيرَ داءٍ

لنْ تُستردَّ الأرضُ إلاّ بالدِّما والنصرُ لن يأتي بغيرِ فداءٍ (4)

لقد استخدم أداة الشرط (لولا) ليخبرنا بأنّ القتال طريق الحرية والسلام معاً، فلولا قتال المحتل الظالم لما تجرأ محتل آخر على احتلال الوطن، واستخدام القوة والفداء لتحرير الأرض هي كالسُّم (الدَّاء) لكن هذا السُّم يجلب لأهل الأرض الأمان والسلام، بأن لا يطمع فيهم

(1) سمرين، رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص429)

(2) ابن أبي سلمى، زهير، شرح الديوان، (ص31)

(3) محمود: عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، (ص31)

(4) سمرين: رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص279-280)

عدو آخر لنضالهم وتضحياتهم وشجاعتهم التي ترد عنهم الأعداء . واستخدم أداة النفي (لن) مع الفعل المضارع (تُستردُّ، يأتي) للدلالة على نفي حدوث الحرية بغير المقاومة والجهاد. فهو يرى بأن فلسطين بغير قتال لن تعود إلى أهلها، والنصر لا يأتي إلاً بالفداء، وأية ذرائع كالفقر وقلة الأسلحة هي ذرائع باطلة ويُذَكِّرهم بالرجوع إلى التاريخ الإسلامي زمن الفتوحات وماذا فعل المسلمون بالفرس والروم مع قلة عددهم وسلاحهم:

إِنَّ الْجِهَادَ أَسَاسُ كُلِّ حَضَارَةٍ وَتَقْدَمُ وَأَسَاسُ كُلِّ بِنَاءٍ
عُودُوا إِلَى التَّارِيخِ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا صَنَعَ الْجِهَادُ لِأُضْعَفِ الضُّعَفَاءِ
مَا كَانَ فَقَرُ الشَّعْبِ نَاجِمًا مِنْ حَرْبٍ مُغْتَصِبٍ وَدَفْعِ بِلَاءٍ⁽¹⁾

نفى أن يكون الجهاد وتحرير الأوطان ودفع البلاء سبب الفقر، واستخدم علامة الرفض (ما) للنفي المطلق على أسباب واهنة لا يثبت صدقها أمام التاريخ. ويسترشد بقصيدة أخرى بنضال الجزائر، وتحررها من الاحتلال الفرنسي، عندما اتخذت الجهاد والنضال طريقاً للتحرر ودفعت ثمن حريتها مليون شهيد:

هَا لَقَدْ أَخَذْتُ فَرْنَسَا هَامَهَا لِلْكَفَاحِ الْبَاسِلِ الْمُسْتَعْرِ⁽²⁾

4) رفض التفاوض والصلح مع اليهود:

بعد أن عُقدت معاهدة أوسلو بين الفلسطينيين واليهود وبدأت المفاوضات للحل النهائي، رفضها سمرين كما رفضها كل شعراء المقاومة الفلسطينية، ورفض المعاهدة اتخذ أشكالاً مختلفة عند هؤلاء الشعراء، أمّا عند سمرين فقد كان رفضه مباشراً، لأنه ببقاء المحتل على أرض فلسطين لا يكون هناك صلحاً، وإنما خطة لإنهاء المقاومة، والإبقاء على الاحتلال، وهذا ما حدث بالفعل في وقتنا الحاضر. يقول سمرين:

لَا لِلتَّقَاوُضِ وَالْعَدُوِّ عَلَى نَرَى أَرْضِي يُشِيدُ الدَّوْرَ لِلْقُطَاءِ
لَا لِلتَّقَاوُضِ إِنْ تَكُنْ أَهْدَافُهُ إِذْ لَالُ أُمَّةٍ يَعْرُبُ وَشَقَائِي⁽³⁾

فاستخدامه للنفي بـ (لا) النافية والرافضة لجميع أشكال التقارب وعدم النضال هي مبدأ أساسي عند الشاعر في رفضه. وقام بتكرار عبارة (لا للتقاضي) لما للتكرار من تصميم وتأکید برفضه وعدم قبوله للتفاوض والتنازل عن دماء الشهداء والوطن. وهذا أدخله في سوداوية وأصبح مُتَشَائِمًا وأصابه اليأس من تحرير فلسطين في هذا الزمن، فأكثر من السخرية بأساليبها المختلفة بعد ذلك في شعره.

(1) سمرين: رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص272- 274)

(2) سمرين: رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص305)

(3) سمرين: رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص73)

السخرية والرفض في شعر رجا سميرين:

تُمثل السخرية أحد أهم أشكال الرفض في الشعر الحديث، ويلجأ الشاعر للسخرية كشكل من أشكال الإدانة للواقع الذي يعيشه ويراه مليئاً بالظلم والاستبداد والقهر، ويقف الشاعر الذي يحمل هموم أمته ومجتمعه بوجه كل أشكال المصالحة مع مَنْ يحتل وطنه، محاولاً توعية أمته واستنهاض همهم للدفاع عن أرضهم وتحريرهم من العبودية والظلم، وعندما يفقد الأمل من تحقيق ما طمح به من أمنيات، يلجأ إلى استخدام السخرية لما فيها من لذع وتعريض، وهنا تتغير وجهة نظر الشاعر من مُناضل غاضب إلى رافض، ليبدأ بالتشظي وتغيير نظريته حول الحياة والالتزام ليصبح ساخرًا، وهذه السخرية التي يُوظفها في شعره تحمل في طياتها قهراً داخلياً نفسياً عند الشاعر، ونوعاً من أنواع الرفض المباشر، فهو وإن أضاع حياته داعياً لفكرة يحملها كرجا سميرين الذي دعا منذ احتلال فلسطين إلى قتال المحتل والدفاع عن وطنه لتحريرها، لكن في النهاية استسلم الساسة لمحتلهم بعد توقيع معاهدة أوسلو فلم تتحرر.

يقترّب الأدب الساخر من الأدب الرمزي فهو يُغلف الحقائق، ويُخفي من الساخر ما يشعر به من غضب ورفض وتمرد وشعور بالغربة، فيعمد إلى إلباس معانيه لبوساً قابلاً للتأويل مفتوحة الدلالة عند المُتلقي، ويلجأ إلى ذلك لخوفه من السلطة، إذا كان في التصريح خطر على حياة الأديب (1). فيلجأ الأديب الساخر للسخرية عندما لا يكون قادراً على إبراز غضبه، فتصبح السخرية ملاذاً نفسياً يُحقق انفعال الأديب ويستوعب حدّته وثورته، وقد تأتي بباعث الزهو والشعور بالتفوق العقلي عند الساخر، فينزِع إلى السخرية والغموض معاً.

ويرى إحسان عباس "أنّ ارتباط الشعر بالثورة أفقد الشاعر الحديث قسطاً كبيراً من قدرته على السخرية، لأنّ الغاضب المحنق لا يستطيع أن يسخر" (2)، ولكن هذا لا ينطبق على شعر رجا سميرين الثائر، إذ كان شعره مُشبعاً بالسخرية؛ ليدل بأن استخدام الشاعر للسخرية ليحقق ملاذاً نفسياً لانفعال الأديب ويستوعب حدّته وثورته وغضبه لإعادة التوازن لنفسه القلقة المُهشمة.

فالواقع المرير الذي يعيشه العرب يجب أن يتغيّر ورجا سميرين يقوم بهدم العيوب الذي تبقيهم على هذه الحال بأسلوب ساخر عسى يتنبهوا ويقفوا معاً بوجه أعدائهم أملاً في تحرر فلسطين.

ويسخر سميرين من ضعف العرب وتغوّل المحتل عليهم فأصبح كالجزّار وأصبحوا كالأغنام، فيطلب من الأعداء أن يفعلوا ما يحلو لهم بهم، لأنّه لم يبق عندهم رجال يُدافعون عنهم وهذه صورة فجائية قاتمة رسمها الشاعر للعرب تدلّ على مرارته لما وصلت إليه من استسلام وذل، فقال:

يا بني صهيون يا شرّ الألي ولدت حواء، أمسيتم ذئابا

(1) انظر: الحوفي: أحمد، الفكاهة في الأدب العربي أصولها وأنواعها (ج1/15)

(2) عباس: إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، (ص158)

..فَانْهَشُوا أَعْرَاضَنَا وَاسْتَأْسَدُوا وَاقْتُلُوا مِنَّا شُيُوخًا وَشَبَابًا
...هَجَرُوا مَنْ شَتْنُمُو مِنْ أَهْلِهَا ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ مَنْ يَبْقَى الْعَذَابَا
!هل ترى الأغنام يوماً نهضت تدفعُ الجزارَ كي تحمي الرقابا؟
لَيْتَ شعري ما الذي حلَّ بنا؟! لا أرى فينا عزيزاً أو مُهاباً (1)

لقد أثرى الشاعر قصيدة الرفض هذه عندما مزجها بالسخرية، والسخرية في مفهومها البلاغي: " طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل، كقولك للبخل " ما أكرمك " ويقال " هي التعبير عن تحسر الشخص على نفسه، كقول البائس " ما أسعدني " (2). فهو يطلب من العدو أن يُمارس ما يُطقنه من سفك دماء الأبرياء ونهش أعراضهم وتشريدهم من أرضهم، ولكن في الحقيقة هو يريد عكس ذلك.

فهو يرى أهل فلسطين داخلها كالخراف وأعدائهم كالجزارين، ويرى بأن الخراف لا يدفعون عنهم ظلم الجزارين. وهو يريد منهم ألا يكونوا خرافاً، بل يدافعوا عن أنفسهم ويهاجموا أعدائهم ليطردهم من فلسطين. فقد قام الشاعر بشحن أبيات قصيدته منذ البداية عندما بدأها بالنداء، وهو من أساليب الرفض التي يخاطب به المحتل ليصفه بالذئب، ثم يشحن قصيدته للمتلقى بتكرار أفعال الأمر (انهشوا، واستأسدوا، اقتلوا، هجروا، صُبُّوا) ويظهر جمال الرفض في هذه القصيدة باستخدامه لأفعال الأمر أيضاً الأمر يوحي بأنه لم يقع، والشاعر يطلب وقوعه. لكن في قصيدة الرفض على العكس، كل هذه الأفعال وقعت في الماضي وأيضاً ستقع في الحاضر والمستقبل أيضاً، فالمحتل لا يُشفق على أهل الأرض المحتلة، بل يزيد من جرائمه فيهم، ولا يتوقف عن سفك دمائهم ما دام أهل البلاد كالخراف ضعاف، لا يدفعون عن أنفسهم ظلم الجزار (المحتل)، فقد استخدم هذه الصورة الموحية لأهل فلسطين مستعيناً بالاستفهام المجازي الذي يُعمق الرفض في نفس الشاعر الغاضبة على حال أهل فلسطين بعد أن صالحوا المحتل: (هل ترى الأغنام يوماً نهضت تدفعُ الجزار؟) فالإجابة معروفة عند الجميع، فهي أضعف من أن تدافع عن نفسها أو تقف بوجه جزاريها، وهذه الحالة السوداوية القاتمة التي يرفضها الشاعر. ثم قام بإفراغ الرفض عن طريق التصوير باستخدام الصورة الفجائية لهذا الشعب في داخل وطنهم - بأنهم كالأغنام لاستسلامهم لقدرهم، والمحتل الذي يشبه الذئب في الصورة الأولى بما يملك من غدر وخيانة هو أيضاً يحمل سكينه كالجزار الذي يذبح الأغنام.

ويلجأ إلى استخدام الاستفهام الإنكاري المجازي، ليجعل المتلقي يشحذ ذهنه ويتفكر بسؤاله: هل الأغنام نهضت تقاوم الجزار؟ بالطبع لا، فالأغنام لا تملك سلاحاً يُمكنها من الوقوف بوجه الجزار ومنعه من ذبحها، ليصل إلى الرفض المزدوج باستخدام أداة الرفض الرئيسية للرفض وهي (لا) ليعلم رفضه النهائي بعدم وجود عزيز أو مُهاب في هذا الوطن، وهو ما يراه، بل أيضاً ما يراه

(1) سمرين: رجا، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص70-71)

(2) وهبه والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ص112)

العدو. واللعب بالألفاظ من أشكال السخرية، كي يشحن الشعب بالشجاعة والمقاومة والوقوف بوجه الجزار الذي جعل استسلامهم له بما يملك من آلة حربية يتسلط عليهم. فالشاعر وإن كان يُظهر الكلام على أنه رثاء لهذا الشعب المسالم، على أنه يحمل دلالات خفية ورموزاً تحضُّ على المقاومة وعدم الاستسلام والوقوف بوجه المحتل. فالسخرية عندما تمتزج بالرفض فيصبح الرفض دعوة إلى التجاوز وشكل جديد غير مُباشر للدعوة إلى النضال وعدم الاستسلام.

الخاتمة:

يرى سمرين أنَّ تفرقنا وانقسامنا إلى دويلات صغيرة ضعيفة من أسباب احتلال اليهود لفلسطين، لذا يطلب من كل العرب ترك الخلاف والوحدة والرجوع للعقيدة الإسلامية وتشجيع العلم والتطور العلمي والتكنولوجي والتسلح بأسلحة متطورة من الأسباب التي متى عملنا عليها فسوف نطرد اليهود من فلسطين ونصبح من الدول القوية مرهوبة الجانب.

لقد تدرج رجا سمرين في شعره فبدأ يشعر بالغربة ثم بالغضب والتمرد، وبعد استشهاد ابنه على يد الكيان الصهيوني تحوّل غضبه إلى رفض ورفضه للواقع المزري للعرب، جعله يُقدّم بدائل وهذه البدائل هي الوحدة العربية والالتزام بالشريعة والاهتمام بالعلم والاستعداد لمواجهة اليهود بالقوة والنضال المسلح لتحرير فلسطين. وبعد معاهدة أوسلو غلب عليه التشاؤم فامتزج رفضه بالسخرية بجميع أساليبها وأصبح ينظر للحرية بعد الصلح مع اليهود بأنها حلم لن يتحقق، في هذا الزمن، وبقي يبكي وطنه، ويرفض الحالة التي وصل إليها العرب وهي حالة مريرة سوداوية.

النتائج:

1. ظهر شعر الرفض عند رجا سمرين كحالة تلقائية عما مرَّ به في حياته من غربة وعدم شعور بالأمن نتيجة الملاحقة المستمرة من مخابرات الدول التي ينتقل إليها ثم فجيعته باستشهاد ابنه على يد المحتل الذي سلبه وطنه، ثم مصالحة منظمة التحرير الفلسطينية للمحتل وتوقيع اتفاقية أوسلو.
2. شعور الشاعر بالحساسية لأي عيب أو سلوك غير أخلاقي جعله يرفض كل عيب في جميع المجالات.
3. الرفض عند رجا سمرين رفض فكري لذلك بحث عن بدائل لرفضه برفض الحكام المستبدين ورفض الاستسلام للمحتل ودعا إلى الثورة على الحكام المستبدين وإلى الوحدة العربية والإعداد بطلب العلم وتطوير الأسلحة للجهاد وطرد المحتل من وطنه.
4. وظّف الشاعر رفضه في المضمون في جميع مجالات الحياة، كما وظّف جميع علامات الرفض الشكلي في شعره من حروف (لا النافية والناهية، ولن ولم، ولات، ...) كما واستخدم (كم) الخبرية، والأفعال وخاصة فعل الأمر الدال على أنَّ الفعل قد حدث وسيحدث، واستخدم أسماء الاستفهام لصياغة الرفض المجازي الذي لا يطلب، وكذلك استخدم الجمل الناسخة وأسلوب النداء والشرط والتمني في تعميق الرفض، والتكرار.
5. مزج السخرية مع الرفض لإثارة المتلقي وكنوع من التحريض غير المُباشر على المقاومة وعدم الاستسلام للمحتل.

التوصيات:

ما يميز شعر رجا سمرين أنه شعر رافض وهو مليء بالسخرية على اختلاف أساليبها وصورها، وأوصي بدراسة أساليب السخرية في شعره.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

القرآن الكريم

- أدونيس، علي أسبر. (1978). *زمن الشعر*. ط2. بيروت: دار العودة
- باشلار، غاستون. (1985). *فلسفة الرفض: مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد*. (ترجمة: خليل أحمد خليل). ط1. بيروت: دار الحداثة (العمل الأصلي نشر في عام 1976)
- بغورة، محمد الصديق. (2012-2013). *نزعة الرفض وأثرها في تشكيل الشعر العباسي (أبو العتاهية وأبو نواس وأبو تمام)*، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة سطيف 2، الجزائر
- تيجاني، محمد. (1984). *مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقعه من ثورة الجزائر التحريرية*، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون
- حسين، فانتة محمد. (2009). *تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان: مجلة الكلية الإسلامية. الجامعة الإسلامية. العراق*. مج3(10)، (131-150)
- الحوفي، أحمد محمد. (1956). *الفكاهة في الأدب العربي أصولها وأنواعها*، ج1، مصر: مكتبة نهضة مصر
- الدباغ، فخري. (1980). *في ضمير الزمن (أحاديث في الإنسان والمجتمع)*. العراق: دار الرشيد
- سرسر، محمد. (2009). *خطاب الرفض في شعر محمد بلخير، مجلة إنسانيات، وهران-الجزائر*، (ع 46)، (101-113)
- ابن أبي سلمى، زهير. (1968). *شرح الديوان*. ط1، بيروت: المكتبة الثقافية
- سمرين، رجا. (2002). *الأعمال الشعرية الكاملة*. ط1، عمان: دار اليراع للنشر والتوزيع
- عباس، إحسان. (1992). *اتجاهات الشعر العربي المعاصر*. ط2، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع
- عموري، نعيم. (2019). *الرفض في شعر عدنان الصائغ: مجلة مركز دراسات الكوفة بجامعة الكوفة*. (ع 52). (215-232)
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (1993). *القاموس المحيط*. ط3، (ترجمة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي). بيروت: دار الرسالة
- قاسم، عدنان حسين. (2000). *التصوير الشعري (رؤية نقدية لبلاغتنا العربية)*. مصر: دار العربية للنشر والتوزيع.
- ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم. (1994). *الشعر والشعراء*. ط5، بيروت، دار إحياء العلوم
- قطّوس، بسام. (1998). *استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي)*. إربد. الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع.
- قطّوش، نورة. (2009-2010). *بنية الخطاب الشعري في العهد الحفصي خلال القرن السابع الهجري*. (رسالة ماجستير غير منشورة)، باتنة. الجزائر: جامعة الحاج لخضر
- لابلائش، جان، وجان. بونتاليس. (1985) *معجم مصطلحات التحليل النفسي*. (ترجمة مصطفى حجازي). ط3، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (العمل الأصلي نشر في عام 1981)
- أبي ماضي، إيليا. (2008). *الأعمال الشعرية الكاملة*. (جمعه وقدم له عبد الكريم الأشتر). ط1. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين

- محمد، سعيدي. (2008). الرفض في الشعر العربي المعاصر: مجلة الأثر (الأدب واللغات). جامعة قاصدي مرباح ورقلة. الجزائر. (ع7)، (129-140)
- محمود، عبد الرحيم. (1988). الأعمال الكاملة. (تحقيق وتقديم عزالدين المناصرة). ط1. دمشق: دار الجليل
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين مجد بن مكرم. (د.ت) لسان العرب. بيروت: دار صادر. (مج 7)
- الهؤال، حامد عبده. (1982). السخرية في أدب المازني. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- وهبه، مجدي وكامل المهندس (1984)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. لبنان: مكتبة لبنان

ترجمة ورومنة المصادر والمراجع:

Sources and references:

- The Holy Quran
- Abbas, I. (1992) Trends in Contemporary Arabic Poetry: Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution. Amman. 2nd Edition
- Adonis, A. (1978). Time of Poetry: Dar Al-Awda. Beirut. 2nd Edition
- Alhawwal, Hamed Abdo. (1982). Irony in Almazini literature. General Egypton Book organization. Egypt.
- Alhoufi, Ahmad Mohammad. (1956). Humor in arabic literature. Its origins and types. Nahdat Masr library. Egypt. P1.
- Hussein, F. (2009). Manifestations of Rejection in Fadwa Toukan's Poetry: Journal of the Islamic College. Islamic University. Iraq. Vol. 3. Issue 10. (150-131)
- Amouri, N. (2019) The Rejection in the Poetry of Adnan Al-Sayegh: Journal of the Kufa Studies Center at the University of Kufa, Kufa. Issue 52. (232-215)
- Bache lard, G. (1985) The Philosophy of Rejection: A Philosophical Study in the New Scientific Mind. Translated by Khalil Ahmed Khalil. Dar Al-Haditha. Beirut. 1st Edition,
- Baghoura, Mohammad Al-Siddiq. (2012-2013) The tendency of rejection and its impact on the formation of Abbasid poetry. (Abu-Alatahia, Abu Nawas and Abu Tammam), PhD thesis, University of Setif 2, Algeria.
- Al-Dabbagh, F. (1980) On the Conscience of Time: (Conversations in Human and Society). Dar Al-Rashid. Iraq
- Al-Fayrouzabadi. M. (1993). The Ocean Dictionary: translated by the Heritage Investigation Office at the Al-Resala Foundation under the supervision of Muhammad Naim Al-Araqoussi, Dar Al-Resala . Beirut. 3rd edition.
- Ibn Qutayba, A. (1994). Poetry and Poets: House of Revival of Sciences. Beirut. 5th edition.
- Lablanche, J, &. Pontales, J. (1985). A Dictionary of Psychoanalytic Terms: translated by Mustafa Hejazi. The University Foundation for Studies. Publishing and Distribution. Beirut. 3rd edition
- Mahmoud, A. (1988). The Whole Works: Edited and Presented by Ezz Aldeen Almanasra. Dar Al-Jalil. Damascus. 1st Edition
- Qassem, A. (2000). Poetic Photography: (A Critical View of Our Arabic Language). The Arab House for Publishing and Distribution. Egypt
- Qatous, B. (1998). Reading Strategies: (rooting and critical procedure). Dar Al Kindi for Publishing and Distribution. Irbid. Jordan

- Qatoush, N. (2009-2010). The Structure of Poetic Discourse in the Hafsid Era during the Seventh Hijri Century: Master Thesis. Hajj Lakhdar University Batna. Algeria
- Saedei, Muhammad. (2008). Rejection in Contemporary Arabic Poetry: Al-Athar Journal (Literatures and Languages). Kasdi Merbah University. Ouargla. Algeria. Issue 7. (140-129)
- Sarsar, Mohammad (2009). The rejection in the poetry of Mohammad Belkheir. Insaniyat Magazine, Research Centre in Social and Cultural Anthropology., oran-Algeria, N 46. (101-113)
- Ibn Abi Solma. Zuhair. (1968). Explanation of the Diwan: Cultural Library. Beirut. 1st Edition
- Somrien, Raja. (2002) The Hole Poetic Works: Dar Al-Yaraa for Publishing and Distribution. Amman. 1st Edition
- Tijani, Mohammad. (1984). The concept of rebellion for Albert Camus and its position in the Algerian liberation revolution. University Publications Diwan Ibn Aknoun. Algeria.
- Abi Mad'i , E. (2008). The Whole Poetic Works: compiled and presented to him by Abd-Al Karim Al-Ashtar. Foundation of the Abd-Alaziz Saud Al-Babatin Prize. Kuwait. 1st Edition
- Ibn Manthoor, A. Lisan Al-Arab: Dar Sader. Beirut. Issue 7. "Rafad'a" construction.
- Wahba, Magdy and Kamel Al-Mohandes (1984), A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Library of Lebanon.